ابن خلدون

Exposición

Ibn Jaldún

Entre Argelia y al-Andalu

PALACIO DE LA CULTURA «MOUFDI ZAKARIA», ARGEL
13 DE MARZO - 31 DE MAYO, 2007

معرض

ابن خلدون

بين الجزائر والأندلس

قصر الثقافة «مفدي زكريا» - الجزائر
من 13 مارس/آذار إلى 31 مايو/أيار 2007

معرض

ابن خلدون

بين الجزائر والأندلس

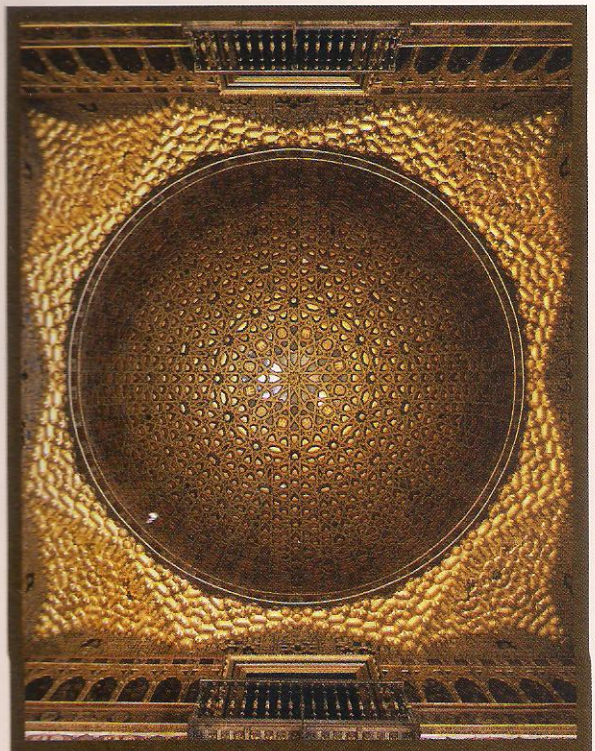

معـــــرض
ابن خلـــــدون
بين الجزائر والأندلس

فهرس المواضيـــــــــــع

8 **افتتاح المعرض:**
«ابن خلدون، البحر الأبيض المتوسّط في القرن 8 هـ / 14 م ازدهار و سقوط الإمبراطوريات»
(القصر الملكي باشبيلية في 18 مايو / أيار 2006)

17 **كلمة صاحب الجلالة الملك خوان كارلوس ملك اسبانيا بمناسبة افتتاح المعرض**
«ابن خلدون، البحر الأبيض المتوسّط في القرن 8 هـ / 14 م: ازدهار و سقوط الامبراطوريات»

21 **كلمة رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**
في الملتقى الدولي حول أعمال وفكر إبن خلدون
(الجزائر، 17 يونيو 2006)

تمهيد
29 كلمة السيّد ميغيل آنخيل موراتينوس، وزير الشؤون الخارجية والتعاون (إسبانيا)
31 كلمة السيّدة خليدة تومي، وزيرة الثقافة (الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية)

المقدّمة
37 ابن خلدون و عصره، ازدهار و سقوط الامبراطوريات خيرونيمو بايث لوبث

البحر الأبيض المتوسّط في القرن الرابع عشر
47 – الامبراطوريات المتوسّطية في القرن الرابع عشر. دافيد أبو لافية
57 – البحر الأبيض المتوسط في عصر ابن خلدون. أمينة عوشار

الأندلس و المغرب في القرن الرابع عشر
65 – بنو زيّان وبنو حفص خلال القرن الـ 8 هـ/ 14م. حسناء الطرابلسي
73 – بنو نصر في غرناطة والمرينيون في المغرب. آنطونيو توربّموتشا سيلفا
83 – مساهمة ابن خلدون في تمتين الصلات الثقافية بين المغرب الأوسط (الجزائر) والأندلس. محمد بن معمر

ابن خلدون و عصره
91 – عالم ابن خلدون. عبد السلام شدّادي
97 – تماثيل ابن خلدون للمغرب الأوسط. هواري تواتي
107 – بنو رستم تاهرت الجزائرية في الأندلس: ابداعات المؤرخ القرطبي ابن حيّان. ماريّا خيسوس بيغيرا مولينس
115 – ابن خلدون بوادر حداثة لم تتحقّق. محمّد الطالبي
125 – ابن خلدون، شاهد متبصّر ومحرج. عبد الوهاب بوحديبة

العلوم في عصر ابن خلدون
133 – العلم والسلطة والمدارس في زمن بن خلدون. فرخيليو مارتينيث اينامرادو
139 – ابن خلدون، الرياضيات و علماء بجاية. جميل عيساني

اشبيلية و تلمسان و فاس في عصر ابن خلدون
153 – اشبيلية في أواخر القرون الوسطى. مانوال غونثاليث خيمانيث
163 – الشغف الخلدوني في تلمسان. رضا برقشي
167 – ابن خلدون في مملكة فاس. أحمد الطاهري

الخاتمة
185 التفكير و العمل وسط التنوّع. بيرناردينو ليون غروس

القضاء و الزمان في عصر ابن خلدون
189 السيرة الذاتية لعبد الرحمن ابن خلدون. بوبة مجاني
193 فهرست بعض المخطوطات الموجودة بالجزائر. مختار حسان

Palacio de Pedro I

بوابة بجاية القديمة.

ابن خلدون، الرياضيات و علماء بـجاية

جميل عيساني
المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ–الجزائر

«بجاية أين أصبحت حاجبا بحكم مطلق»
ابن خلدون، تعريف

المقدمة

في إطار الاحتفال العالمي بالذكرى الستمائة لوفاة ابن خلدون [7]، ساهمت منطقة بجاية بفعالية هامة في إحياء هذه الذكرى كغيرها من مدن البحر الأبيض المتوسط المعنية مثل (تونس، القاهرة، إشبيلية، تيارت،...)، وكيف سيكون غير نـ لك؟ وقد أقام ابن خلدون عدة مرات في هذه المدينة؟ وساهم بكتابته عن السلالات البشرية الأولى التي يتكون منها الوسط المغربي.

الهدف من هذا المقال هو حصر روابط ابن خلدون بمدينة بجاية. في بداية الأمر، نحلل أعماله في المنطقة (السياسية، الإدارية والتعليمية) ونتوقف على علاقاته بعلماء المدينة.

بعد ذكر مساهمته في كتابة تاريخ المدينة، نحصر كل من العناصر (التي لها علاقة بهذا التاريخ) التي سمحت بتوضيح عدة مفاهيم لها عـلاقة بـالغرب الإسـلامي (الأنـدلس والمغرب): فـكرة الحدود، النظريات الرياضية، تجديد دراسة الفقه،...إلخ. وفي النهاية، نبين أن انتشار عمل ابن خلدون كان المصدر الأول في البحث حول الرياضيات في العصور الوسطي بالمغرب. ونعرف بالمرجع النبذة المحتجة الذي يعتبر مخطوط مفقود للمؤرخ البجائي المشهور ابن حماد (1150-1230).

1. مـــــــــــــــــن هو ابن خلدون؟

عبد الرحمن ابن خلدون (تونس 1332 – القاهرة 1406) ينتمي إلى عائلة إسبانيا مسلمة كانت تقيم بالمحافظة الإشبيلية. عند وصول المملكات المسيحية لأقصي شمال إسبانيا إلى إشبيلية سنة 1248، هاجرت عائلة ابن خلدون إلى الجنوب الإفريقي لتقيم نهائيا في تونس. بعد بضع سنوات من توليها العرش في إفريقيا)الاسم القديم لتونس)، هاجر ابن خلدون إلى الأندلس، أرض أجداده ليستقر في مملكة غرناطة، التي أصبحت مؤخرا شبه جزيرة إسبانيا – إسلامية.

المؤرخ والعالم الاجتماعي المغربي ابن خلدون كان من بين النظريين الأوائل في تاريخ الحضارات. فالأخصائي الإنجليزي أرنلد توينبي يؤكد «بأنه أسس وكون فلسفة التاريخ التي تعتبر كأكبر عمل لم يخترع مثله من قبل، لا من أي فكر، لا في أي وقت ولا في أي بلد». من أول أعماله وأكبر مؤلفاته المشهورة المقـدمـة (تمهيدات)، فهي مقدمة ذات ثلاث أجزاء من كتابه الإبر (تاريخ العرب، الفرس والبربر)، فهو قد حلل وعالج فيه المجتمعات المغربية في نهاية القرن الرابع عشر، ويشهد بتعقيدها علي المستوي التقني، المعرفي أوالأنواع الحكومية. في تحليله هذا مصطلحان أساسيان هما: العمران والعصبية [7] .

2. ابـــــــــــــــــــن خلدون، من غرناطة إلى بجاية

قام ابن خلدون بعدة رحلات (من بضع أشهر) بجاية في الفترة الممتدة ما بين سنة 1352 وسنة 1354. بعد ذلك غادر المدينة لأن السلطان المرينيدي أبو عنان قد استدعاه إلى فآس ليكون عظوا في الاجتماعات وجلسات العلماء للنقاش في مسائل علمية، ليعود بعد ذلك إلى الأندلس ويربط علاقة صداقة في غرناطة مع أمير للناصرية الأندلسية، ابن الخطيب (1313-1347)، هذا الأخير هو مؤلف رواية لغرناطة التي استفاد من مضمونها المعلوماتية ابن خلدون. بعد إقناعه للملوك الناصريين، بعث في مهمة دبلوماسية إلى ملك إشبيلية بيار الأول المتجبر (المجرم) ليصادق على معاهدة السلام.

فبداية من الأندلس، أين يعود إلى بجاية في مارس–أفريل سنة 1365. حيث أن صاحبه الأمير عبد الله من بجاية قد دعاه ليباشر بقربه بمهام حاجب (حاجب الملك – الوزير الأول)، المهام الذي كان يحي أخو ابن خلدون قد شغله من قبل لمصالحه. «في إماراتنا المغربية، عمل الحاجب يتمثل في تسيير وتوجيه إدارة البلد، والعمل كوسيط بين الملك وضباطه». في كل صباح بعد الإطلاع على القضايا العامة، يتوجه ابن خلدون إلي مسجد القصبة (القلعة)، وهذا ليعلم فيها أحكام القضاء وبعض القواعد الأخرى.

3. ابـــــــــــــــــــن خلدون وعلماء بجاية

أ) بجاية، عاصمة تاريخية على سواحل البحر المتوسط

إذا تعمقا في جذور المغرب، نجد أن مدينة بجاية كانت جد متفتحة على البحر الأبيض المتوسط، فجزء هام من نجاحها تستفيده من البحر، فهذه المدينة المتوسطية «*méditerranéisation*» تقع في موقع يعرف بحرية التجارية في أوربا، وبتطور معتبر في التبادلات البحرية بين مختلف سواحل البحر الأبيض المتوسط، خصوصا في الجهة الشمالية – الجنوبية. فمنذ ذلك أصبحت مدينة بجاية نقطة اتصال –واجهة كما يقول عليها الجغرافيون– بين المغرب وأوربا.

فككل المعجبين الجغرافيين والمسافرين المارين من بجاية، الإدريسي هو الآخر كان قد أعجب بالنشاط التجاري البجائي. «(...) الطلبات قد أحضرت، السلع تباع بشكل جيد. سكانها من التجار الأثرياء. ونجد تجار حرفيين لا نجدهم في العديد من البلدان الأخرى. (...) نخزن الفائدة ونبيع السلع بمبالغ طائلة».

فما يشهد على كثرة التبادلات التجارية في مدينة بجاية، هو إعطائها اسمها لنوع من الجلد، في الوقت نفسه هي مصدر لاسم أعطي للشمعة الصغيرة (الشمعة) فتسمية المدينة التي يصنع فيها الشمع، بنفس اسم تسمية صادراتها في بداية القرن الرابع عشر يبين مدى أهمية نسبة الصادرات مقارنة بالقرون التي مضت.

ب) خصائص المدينة

عدة خصائص للمدينة لها دور فعال في تطور الأعمال العلمية، من بينها:

- تواجد طائفة أندلسية قوية » شرعية « خاصة بعد تواجد الموحدين في إسبانيا، ثم في القرن الثالث عشر عند استرجاع أراضيها *Reconquista* [3].
- التطورالاستثنائي السريع للتجارة العالمية، بسبب الفوائد الجمركية والأمنية [6].
- المستوي العلمي العالي المشهور للدراسات الدينية، وذلك بداية بتعليم «أمراء العلم».
- المراحل التي يجب تتبعها على الطريق الإسباني–المشرق، خاصة للقيام بمناسك الحج ولمتابعة التكوين [9].

ت) مركز التعليم العالي

كانت مدينة بجاية مركزا للتعليم العالي، فهي تستقطب طلاب لمتابعة تعليمهم بنفس مستوى التعليم كالذي يوجد بالقاهرة، في تونس أوفي تلمسان. فالعدد الكبير من الطلاب (العديد منهم أوربيين) يتأهبون إلي المدارس والمساجد أين يدرس العلماء اللاهوتيين (التيولوجيا)، القضاة، الفلاسفة والعلماء المعروفين في العالم الإسلامي. كما أن متابعة الدروس الرياضية كانت مفروضة نظرا للمستوي العالي لتعليم الرياضيات التي كانت متبعة بدروس جبرية عالية من طرف العالم الكراشي (توفي عام 1184).

ث) تشكيلة الوسط العلمي

تشكيلة الوسط العلمي في العصور الوسطي كانت غير تابعة لعالم العلماء. وفي القرن الثالث عشر، يقترح د. أوربوي تحليلا مهما بالاعتماد على مرجع تعريفي يسمي عنوان الدراية للغبريني (توفي عام 1315) [13]، هذا الكتاب كان مرجعا كاملا على حياة علماء بجاية [3]، يذكر منهم الغبريني (كان ينتمي إلي الوسط العلمي لبجاية في الوقت الذي كان ريموند لول مقيما بها)، ويذكر أيضا 108 شخصية مشهورة من القرنين الثاني عشر والثالث عشر [13]، من بين هذه الشخصيات 28 من أصل أندلسي (6 من إشبيلية، 1 من مالقة، 4 من فلنسيا، 4 من مورسي، 4 من شاطبة، 1 من قرطبة، 1 من رواندا، 1 من غرناطة و6 غير مذكورين) كالكيناني (توفي عام 699 هـ–1301م)، الخزراجي (توفي عام 691 هـ–1292م) وأبو العباس العزدي (توفي عام 692 هـ–1293م).

المؤرخ و العالم الاجتماعي المغربي ابن خلدون كان من بين النظريين الأوائل في تاريخ الحضارات

خليج بجاية.

ح) الوسط العلمي للقرن الرابع عشر

عدد كبير من المصادر العلمية كانت في مرحلة الزوال في الوسط العلمي لمدينة بجاية، قبل مجيء ابن خلدون بسبب انخفاض المستوى العلمي في نهاية القرن الثالث عشر، وهذا ما يوضحه ويصادق عليه المسافر الأبدري في كتاب الرحلة المغربية، مما أدى به إلى الحكم على بجاية بحكم صارم (زارها في سنة 1286) حيث قال: «هذا البلد يغلق على بقايا البنايات الإسلامية، فهي المنطقة التي أقام فيها أكبر العلماء... ولكن البلد يعاني من تغيير أصاب المدينة والقرى. مصادر العلم بدأت تتلاشي إلى حد الزوال التام» [3].

في نصف القرن السادس عشر، أقام ابن خلدون في بجاية، في تلك الفترة كانت أعمال العلماء المشهورين الأوائل قد استغلت: كأحمد بن إدريس (توفي عام 760 هـ–1358م)، أحمد بن عيسي البجائي،... ألخ. فمعظمهم كان أصلهم من مختلف مناطق القبائل : عبد الرحمن الوغليسي (سيدي عيش)، بلقاسم المشدلي (مشدالة)، المنجلاتي، والآخرون جاءوا من مختلف مناطق المغرب، فمنهم من جاء من الأندلس من المشرق وحتى من الغرب. هو الحال مثلا للوهراني الغامض محمد ص. عمار الهواري (توفي في وهران عام 843 هـ – 1440م)، لقد وصل إلى بجاية في الوقت الذي كان فيه ابن خلدون يشغل منصب الوزير الأول (الحاجب)، ووجهة نظره على هذه المدينة كانت قد نشرت في تعريف له من طرف محمد ابن سعيد الأندلسي في كتابه «روضة النسيم» الذي يبين كذلك انه كان يدرس بالقرب من الإمامين الوغليسي وابن إدريس. فالقصيدة التي كتبها تهدف إلى المدح الكبير لسكان مدينة بجاية، على تضحياتهم، إنسانيتهم، مساعدتهم للغرباء، العطف اتجاه الفقراء،... [6]. أما في قصيدته التي عنوانها التسهيل، فيقول «آه! إذا صورت لكم ما رأيته في بجاية، بلد الإخلاص للعلم، أرضي الحقيقية».

لقد درس ابن خلدون تاريخ مختلف السلالات البشرية المغربية، حيث أعطى تفاصيل مهمة حول مراحل تطورها و بالخصوص تلك التي حكمت مدينة بجاية

4. ابـــــــــــــن خلدون وتاريخ بجاية

«عند الدخول من الباب الواسع للأسباب العامة، التي تدفعنا إلى دراسة أعمال معينة، أتعانق، في تقرير كامل على تاريخ نو نوع إنساني». كل المؤرخين اتفقوا على المكانة المركزي الهامة لكتاب المقدمة في كتابة تاريخ المغرب. فهذا رغم أن كتابات ابن خلدون لم تكن في غالب الأحيان مفهومة من طرف الغير المثقفين للعادات المغربية. كما أن انتشار كتاباته في وسط القرن التاسع عشر طرحت عدة أسئلة، لأن المشرقيين لم يستطيعوا فهم بعض من أقواله.

لقد درس ابن خلدون تاريخ مختلف السلالات البشرية المغربية، حيث أعطى تفاصيل مهمة حول مراحل تطورها وبالخصوص تلك التي حكمت مدينة بجاية (الحماديين، الموحدين، الحفصيين)، وما ساعده على ذلك هو إقامته في المدينة وتحصله على المصادر التاريخية التي زودته بالمعلومات المحددة الكافية على سعة ثقافة الأمراء الحماديين. كما يعرفنا بأن الأمير المنصور، «موهوب بالذكاء المبدع م المحكم»، هو الذي أسس المقر الأول ذات المنفعة العامة، وكذا المسجد الكبير «يفوق روعة كل المعابد المعروفة». ويؤكد كذلك على أن: «الأمير الحمادي العزيز يحب استدعاء العلماء والتصنت إليهم في

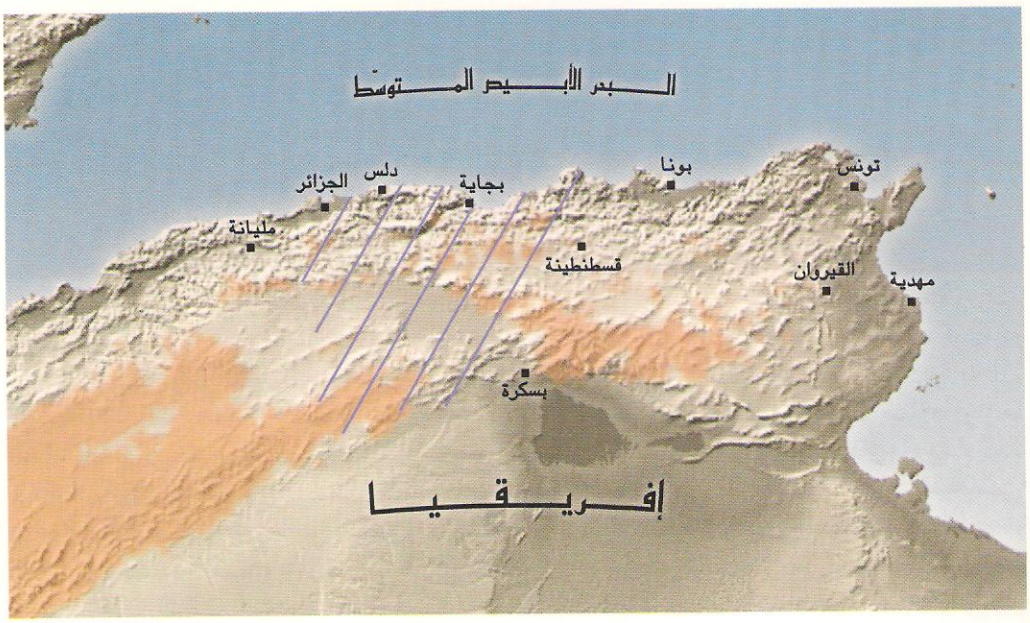

إفريقيا في عصر بنو حفص، الحدود الإقليمية و الحدود السياسية وحركة بجاية.

حصن بجاية.

الجلسات حول المسائل العلمية». وحسب ما جاء به أيضا ابن خلدون هو أن الأمير يحيى ابن العزيز، هو الذي غير المكان المخصص للعملة (تحصل على فندق للمالية وورشة للطباعة –دار السكة– في بجاية) الذي يؤكد في قوله: «ولا أحد من أسلافه أراد القيام بذلك، وهذا احتراما لحقوق الفاطميين».

كما بين ابن خلدون في بداية الأمر الدور الفعال الذي تلعبه مدينة بجاية في «السباقات» في البحر الأبيض المتوسط، فحسب ما قاله عن البجائيين فهم يعرفون من بين أبرز القرصان الموهوبين على البحارة المسيحية.

5. ابـــن خلدون، حركة بجاية ومصطلح الحدود

في أحد الأعمال الحديثة، قام دومنيك فاليريان بمتابعة مراحل تطور الحدود في المغرب الأوسط [12]. وهذا لشعوره بالحس الوطني، بعيدا عن التمييز التقليدي بين دار الإسلام ودار الحرب. فنلاحظ في غالب الأحيان أن تعريف علماء الجغرافيا للمناطق المتواجدة في الوسط الإسلامي يكون سياسيا.

كمثال على مدينة بجاية، فالمنطقة الغربية للدولة الحفصية في بداية نصف القرن الثالث عشر، تبين انحدار تسمية كلمة «ثغر» الذي كان معناه في النص حسب ابن خلدون هو المنطقة التي لها حدود داخل دار الإسلام، منطقة تتميز على باقي المناطق الأخرى باستقلالية جغرافية ممنوحة من طرف الحكم المركزي.

إذا كانت الحدود المشرقية لإفريقيا (الاسم القديم لتونس في العصور الوسطى) سهلة التحديد، تقريبا في إقليم طرابلس، وهذا في المجال المحدد بين مصر وتونس حاليا، فإن الحدود الغربية صعبة التحديد نظرا لكثرة حركتها وبسبب الصراع السياسي العنيف. في الفترة الحفصية كانت تقع في منطقة بجاية مما سمح بالاعتراف بها كمنطقة حدودية.

– تعريف الوسط الحدودي

تحتل بجاية مكانة جد متقلبة في المغربي الأوسط: أحيانا تنتمي إلى إفريقيا (المشرق الأوسط) وأحيانا تصنف من بين المناطق الواقعة في المغرب الأوسط. كما نجد أيضا، أن في وسط القرن الثاني عشر الإدريسي الذي صنفها في الفرع الأول للمناخ الثالث. حيث يقول عنها في فترته أنها «مدينة المغرب الأوسط» وهي «عاصمة (عين) دولة بني حماد [1]». فهو يفصلها عن إفريقيا التي تمتد إلى طرابلس شرقا، ومهدية كعاصمة، ويبين أيضا وسطين ينتميان إلى سيادتين هما الزيرية والحمادية. في بداية القرن الثالث عشر، يصف ياقوت في وثيقته التعريفية عن بجاية أنها «مدينة على شاطئ البحر، بين إفريقيا (تونس) والمغرب [2]»، إذن هي منطقة وسطية في البلدان الأخرى عند تعريفهم للحدود الغربية لإفريقيا، يقولون أولا أنها تتواجد في بجاية، كما أن هناك حتى من يمدد الحدود إلى منطقة مليانة. فحتما، المؤلف الأندلسي ابن الخطيب الذي عاش في القرن الرابع عشرله خبرة جيدة على الوضعية السياسية للمغرب، يعرف الدولة الحمادية أين كانت بجاية عاصمة لها منذ أواخر القرن الحادي عشر، إضافة إلى الجزء الغربي لإفريقيا (تونس). لقد قام بتوظيف هذا الاسم إفريقيا بالمعني الذي كان عليه في الفترة الحفصية.

أحسن تعريف لمكانة بجاية في الوسط السياسي المغربي نجده عند ابن خلدون، بروح تاريخية، كرجل دولة وحكمه النظري في السلطة. هذا الأخير كان حاجب (الوزير الأول) لبجاية في العصر الذي كانت في المدينة تنتمي إلى الوسط السياسي الحفصي السائد [4] آنذاك. فبدون شك، إن هذه التجربة السياسية لم تكن غريبة على فكره، نظرا لتجربته السياسية في التفكك للوسط المغربي، حيث أن عند استعماله لمصطلح الحدود، فهذا بالمعني السياسي الواضح، حدود الدولة.

أعطي ابن خلدون لبجاية الدور الحقيقي لها كمنطقة حدود للدولة الحفصية. فالكلمة الأكثر استعمالا له لتعيين هذه

بجاية. حي عربي قديم.

المنطقة هو ثغر، في بعض الأحيان تستعمل كلمة الثغور عند تحويلها إلى الجمع، أما في الغالب تستعمل الكلمة الفصحى الناحية (المنطقة) الغربية للدولة الحفصية، التي تشترك في مفهومها مع مصطلح الحدود: عندما يتحدث على مشاريع علمية الغزوللمناطق الغربية للسلطان أبو عصيدة (1309-1295) لاسترجاع أملاكه، فهو يكتب قائلا: («حدث نفسه بغزوالناحية الغربية وإرتجاء ثغورها من يد الأمير أبي زكرياء»). فهناك هذا التعبير كما أن هناك تعابير أخري لمعني كلمة الحدود مثل أطراف أوتخوم. ولكن يبقي المصطلح الأكثر استعمالا هو الثغر. عندما نتحدث عن أبو زكرياء الذي أصبح مستقلا في بجاية سنة 1285، كتب بأنه كان في ذلك الوقت حاكما لمدينة بجاية والناحية الغربية لإفريقيا (بجاية والثغر الغربي من إفريقيا). بعد مدة، فيما يخص ابن وخلفاء أبو زكرياء، الأمير أبو البكر خليد، قال أنه كان «صاحب الثغر الغربي من إفريقيا» وهذا منذ أواخر أيام السلطان أبو عصيدة. مصطلح ثغر المستعمل في هذا النص قد يوحي بالاستغراب عند معظم المؤلفين العرب، فهو يبين الحدود التي تفرق بين البلدان الإسلامية والعالم غير المسلم، خاصة المسيحية. هذا ما لم يستطع تجاهله الأندلسي ابن خلدون، فهو إذن هنا يجلب له كل المعاني الدينية . فهذه الناحية ليس لها أي معني لا بالحدود العرقية ولا الاقتصادية، ولا بالغوية. فهي لا تفرق بين نوعين من الحضارات ولا بين نوعين من النمط المعيشي، ولكن له علاقة حتما بالجانب السياسي والعسكري. فبالعكس الكلمة تحفظ فكرة المنطقة الحدودية، فالناحية لا يمكن اعتبارها كخط مستقيم يترك أثارا عبرية من سيادة إلى أخرى. بجاية هي أذن عاصمة لمحافظة حدودية في الناحية الغربية، تبين حدود الدولة الحفصية.

6. بجاية وتجديد دراسة الفقه في المغرب

بفضل التحليل الذي قام به ابن خلدون نتعرف اليوم على الدور الذي لعبته مدينة بجاية في نهاية القرن الثالث عشر في تجديد دراسة الفقه في المغرب. من بين الأوائل الذين يجب أن تكون لهم قيمة كبيرة نجد «من أكبر الشيوخ» نصر الدين المشدلي الزواوي (1335-1235). عندما كان صغيرا، صاحب أباه إلى مصر، وتعرف على تلامذة المالكي المصري ابن الحجيب (1248-1175). فحسب ابن خلدون، فأول من أحضر كتاب المختصر إلى المغرب هو نصر الدين، أروع المخطوطات للفقه للابن الحجيب.

أ) مدرسة احمد بن إدريس ونشر مختصر ابن الحجيب

«سألت شيخنا أحمد بن إدريس، أكبر العلماء ببجاية...»

ابن خلدون، تعريف

من المحتمل أن يكون بفضل الفقيه أحمد بن إدريس البجائي «أكبر علماء بجاية في زمانه» (توفي عام 760هـ/1358م)، قد تم نشر كتاب المختصر لابن الحجيب في جميع أنحاء المغرب وما أبعد من ذلك، حيث أنه كان يلقب «بالفقيه الصالح» [التونسي ابن عرفة -1399) (1316]، كمرجع أصلي [ابن فرحون، بن سلامة البسكري،...] كما أنه يعتبر المؤلف للمخطوط المشهور الشرح لهذا المختصر. قام أحمد بن إدريس بتأليفه قبل أن تستقبل مدينة بجاية تلامذتها المشهورين من بعده مثل: ابن خلدون، الهواري، الوغليسي، بلقاسم المشد لي...

في النصف الأول من القرن الرابع عشر كانت دراسة الفقه أكثر انتشارا، فكتاب إبن الحاجب لعب دورا أساسيا في تلك الفترة. نلاحظ أيضا قدوم الرياضي المشهور الأبلي -1356) (1282 من تونس إلى بجاية ليشرح لطلبة هذه المدينة بعض المسائل الغامضة في كتاب المختصر، حيث أن التلمسانين الآخرين، ابن مرزوق الجد وسعيد العقباني تلميذان لابن إدريس في بجاية كان يكتبان تعليقاتهم الخاصة بهم على هذا المخطوط. فشروح أخرى مفهرسة ومختصرة توالت في كل أنحاء المغرب: ابن فرحون، أبو علي أبركان، نصر الزواوي، ابن قنفيذ، ابن مرزوق الحفيظ، العقباني (الابن)، الونشريسي، السنوسي...

في ذك الوقت، كل هذه الشروح لم ترتقي إلى مستوى شرح أحمد بن إدريس، هذا ما يفسر أن شرحه كان مرجعا لكثير من البحوث المهمة: شروح القاضي الجماعة بتونس، القلشاني والعالم التلمساني ابن زاغو، الاختصار للبجائي محمد بن بلقاسم المشد لي (حول محاورة ابن عرفة التي لها علاقة بآراء ابن الحاجب)،...

ب) المدرسة الفقهية للوغليسي

في أوائل نصف القرن الرابع عشر، كانت مدينة بجاية فخورة جدا، كما أكد عليه روبر برنشفيك، وهذا باستقبال الفقيه الشهير عبد الرحمن الوغليسى (سيدي عبد الرحمن الوغليسى، توفى عام 786–1384 م)، أصله من سيدي عيش (عرش آيث وغليس)، هذا العالم أسس في المنطقة مدرسة للفقه التي ظلت أثارها باقية عبرا لزمن لمدة قرون. لقد كون بتدريسه المحكم جيلا من التابعين الذين أصبحوا من مشاهير العلماء (كبلقاسم المشدلي،...). من خلال الوغليسيى وتلامذته، يظهر لنا بوضوح مدى قوة العلاقة الموجودة بين بجاية ونواحيها من جهة، وعلاقة بجاية بالمدن الجزائرية الأخرى، مثل(الجزائر، وهران، تلمسان...).

مخطوطه المقدمة الفقهية، المعروفة تحت اسم الوغليسية بقي لمدة عدة سنوات كمرجع قاعدي في تعليم المبتدئين (لقد علق عليه العديد من العلماء المشهورين مثل عبد الكريم الزواوي، أحمد زروق البرنوسي، أبو عبد الله السنوسي) واختصر من طرف عبد الرحمن الصباغ بطلب من يحي العيدلي الشهير، مؤسس أحدى الزوايا العلمية الأولى فى القبائل. إن استفساراته القانونية موجودة إلى يومنا هذا بالكتب المرجعية، مصدرها من الجزائري (المغيلي)، في المغرب (الونشريسي) وفي الأندلس (الزياتي)، فهي تمكننا من استيعاب نمط تفكيره خاصة حصر نوعية النمط الاجتماعي بالناحية في ذلك العصر.

في الوقت الذي كان ابن خلدون يشغل مناصب سياسية في بجاية، لم يكن له أي اتصال مع السلطات، رغم عمله كمفتي وشيخ الجامع، تعرفنا على ذلك في شهادة مؤكدة من الجزائري عبد الرحمن الثعالبي، الذي كان تلميذا لتلامذة ابن خلدون. ويؤكد كذلك في كتابه الجمع قائلا: «وصلت إلى بجاية عام 802 هـ / 1400 م، التقيت بعلماء، الذين أصبحوا من المرشدين في العلم، في الدين وفي الإخلاص. كانوا من التابعين للشيخ العالم المثقف والمؤمن عبد الرحمن الوغليسي، وكذا التابعين

في النصف الأول من القرن الرابع عشر كانت دراسة الفقه أكثر انتشارا، فكتاب إبن الحاجب لعب دورا أساسيا في تلك الفترة

للشيخ أحمد بن إدريس، الذين كانوا أكثر إيمانا واستقامتا في الاعتقادات الدينية. لا تربطهم أية علاقة مع الأمراء الذين لا يتقربون إليهم. فأسلافهم وتلامذتهم اتبعت نفس المسلك. رضي الله عنهم جميعا» [3].

7. ابـــــن خلدون والخطوط الضائع لابن حماد

في الفترة الأولى للقرن التاسع عشر، أقيمت أبحاث كثيرة حول المخطوط الشهير النبذة المحتجة في أخبار صنهاجة بإفريقيا وبجاية للمؤرخ ابن حماد (1150-1230). نقطة بداية الأبحاث كانت في وثيقة بحث للمشرقي سيلفستر دوساسي في «*Chrestomathie arabe*» فحسب أوغيست شربونو، الذي أصبح بعد ذلك رئيسا للجمعية التاريخية الجزائرية (الاستعمارية)، «عدة أحداث جديدة ومهمة لتاريخ الأدب العربي استفادت من هذه الوثيقة» [5].

الترجمة التي قام بها دوسلان لكتاب «تاريخ البربر» لمؤلفه ابن خلدون في وسط القرن التاسع عشر هي التي أعطت دفعا جديدا لإهتمام المشرقيين بالمخطوط الضائع ابن حماد (1150-1230). كان قد استعمل من طرف عدة مؤرخين التابعين له مثل (ابن العيظاري، ابن خلدون،...) سيكون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في وسط وأعظم الإبداعات الفكرية.

أ) من هو ابن حماد

ابن حماد (حمزة [البويرة؟] 1150م/548 هـ–بجاية 1230/628 هـ)، «عالم نشيط وخبير»، منحدر من عائلة الأمراء الحماديين. درس في قلعة بني حماد، ثم في بجاية على يد «أمراء العلم»: عبد الحق الإشبيلي، أبو حامد الصغير، أبو مدين، أبو تميم بن جبارة،... [3]. أهميته في الوسط العلمي لبجاية تكمن في المكانة المرموقة التي كان يحتلها في تشكيلته لعالم العلماء في هذه المدينة [02]. حيث أن بفضل أعماله التاريخية فلقد تمكن من احتلال مكانة عالية. حيث أنه في اتجاه سنوات 1220، قام بكتابة ملخص تاريخي للفاطميين، غير أن مرجعه الأكثر شهرة هو الذي يسمي النبذة المحتجة في أخبار صنهاجة بإفريقيا وبجاية [5]. لقد اعتمد عليه كمرجع للبحث من طرف العديد من المؤرخين التابعين له لا سيما من طرف ابن خلدون. تحديدا هنا أن هذا المرجع لم يعثر عليه لحد اليوم.

ب) النقاشات الأول حول مخطوط ابن حماد

في ترجمته لجزء من مؤلف ابن خلدون الذي يدعي «الملامح التي تحدد صفات عزة الملك»، سلفستر دوساسي يؤكد على أهمية الكتاب المشهور لابن حماد. كما قال أيضا «لا أعرف قط ابن حماد، إنما أضن أنه يتعلق هنا برواية تسمي عنوان الدراية في تعريف لبجاية، أين ينطق حاجي خليفة مرتين للكلمتين تعريف وعنوان، ولكن لم يقدم أي معلومة عن المؤلف ولا الوقت الزمني الذي ألف فيه. هذا المؤلف ينتمي حتما إلي عائلة بنو حماد». يبين بعد ذلك ببضع سنوات أوغيست شربونو أهمية هذا المخطط مؤكدا أنه «حتما كان قد قرأ من طرف مشرقيين آخرين بأهمية أقل وفي ظروف جد مختلفة» [5]. حيث أن اكتشاف النسخة الأولى لكتاب عنوان الدراية في مشايخ بجاية للغبريني هو الذي دفع إلى تجديد النقاشات بصفة قوية. تشابه عنوان هذا الكتاب مع عنوان كتاب ابن حماد، يبين حتما أنه كان المصدر الأول كما أشار إليه حاجي خليفة. فالدراسة التي قام بها أوغيست شربونو سمحت له باستنتاج «أنه توجد قصة لبجاية رواها ابن حماد ثم سجلت من طرف حاجي خليفة، ونشرت من طرف ابن خلدون الذي ذكر اسمه مرتين في الكتاب، وكما ذكره أيضا في كتابه تاريخ البربر». حيث أن ابن خلدون قام بنقل مقطعين كاملين من مخطوط ابن حماد (الجزء الثالث، صفحة 266، والجزء الثاني، صفحة 57) [5]. يقول فقط «في تاريخ هـ» دون ذكره للعنوان. يؤكد شربونو أنه يملك نسخة لمختصر ابن حماد حول الملوك العبيدية، يستنتج منه أن الأحداث التي ذكرها ابن خلدون غير متواجدة في النسخة. كل هذا ما دفع به إلى القول: «إنه من الطبيعي أن ابن حماد قد ألف عدة كتب» [5].

في الفترة الأولى للقرن التاسع عشر، أقيمت أبحاث كثيرة حول المخطوط الشهير النبذة المحتجة في أخبار صنهاجة بإفريقيا و بجاية للمؤرخ ابن حماد (1150-1230)

ساحل بجاية.

شهادة العالم القبائلي الشهير الحسين الورثيلاني (1125 هـ/1713–1193 هـ/1779) تؤكد على متابعة دراسة واستعمال المخطوط الشهير لابن حماد في القرن 18. لهذا يبدوا من أغرب الأمور للغاية الضياع النهائي لمخطوط ابن حماد بعد القرن الموالي من تأليفه [23].

8. ابـــــــــــــــــــــــن خلدون والرياضيات

إن انتشار أعمال ومؤلفات ابن خلدون في نصف القرن التاسع عشر هي التي كانت مصدرا للأول الأبحاث حول الرياضيات في العصور الوسطي بالمغرب. حيث أن كتاباته حول الرياضيات في كتابه المقدمة كانت قد استغلت من طرف حاجي خليفة في القرن السابع عشر [14] ومن طرف ف. ويباك في القرن التاسع عشر [24]. في ذلك الوقت يجلب تحليل ح.ب.ج. رونود انتباه الأنظار حول تكوينه العلمي الرائع في الرياضيات [17].

تطور التكوين العلمي الرياضي لابن خلدون كان في تونس بالقرب من الرياضي التلمساني الأبيلي(المتوفى سنة 1356) (تعريف، [16]) هذا الأخير كان تلميذا للرياضي المغربي المشهور ابن البانة، عاش ببجاية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر. فحسب شهادة ابن الخطيب، فإن ابن خلدون كان قد ألف كتاب حول علوم الحساب [19]. فصل من كتاب المقدمة حول الرياضيات يبين أنه كان يتداول حول فقه الحساب لابن المنعم، ورفع الحجاب لابن البانة، والكميل للأحدب،...

يتضمن كتاب المقدمة فصل حول الرياضيات أين كانت معلوماته محدودة، مرفوقة بتعليقات غامضة غير مفهومة من طرف علماء التاريخ، الغير المثقفين في حول التقاليد العلمية للمغرب. الصفحة المخصصة لعلم الحساب تتضمن أهم المؤرخين في العلم في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (ف.ويباك [24]، م. ستنشنيدر [18]، هـ. سوتر [19]، ...). إذ أن في بعض الأحيان يجب العديد من السنوات في البحث لكي نستطيع فهم ما يريد أن يقوله ابن خلدون. خصوصا، أنه توجب انتظار سنوات 1980، الاكتشافات والتحليل الخاص بالأعمال المغربية، ونذكر منها: فقه الحساب لابن المنعم، رفع الحجاب لابن البانة والجزء الأول لكتاب الكميل للحصار، لتوضيح كتابات ابن خلدون المتعلقة بالأعمال الأربعة لأشهر الرياضيين بالمغرب. نجد هنا الرياضي الأحدب، مؤلف كتاب الكميل، لم يعرف بعد. اكتشاف هذا العمل سيساعد حتما في التقدم إلى الأمام، في توضيح العمليات الرياضية في المغرب.

لقد زودنا ابن خلدون بعدة معلومات حول تناوب المعرفة الرياضية إلى غاية عصره. حيث أن جانب كبير من العمليات الجبرية بالمغرب استلهمت من أعمال مدرسة الرياضي المصري المشهور أبو كميل (850-930) التي يبدوأنها جمعت كلها ونشرت عبر تعليم مساوي لمسوي الحضارات الشرقية (في نفس العصر). ابن خلدون هو بالتحديد شاهد على امتداد طول هذا النقل التسلسلي. فهو يوفر لنا عدة معلومات حول علاقات المعرفة الرياضية إلى حد عصره: «أبو عبد الله الخوارزمي هو أول من كتب على الجبر، بعده يأتي أبو كميل. كتابه حول المسائل القانونية الستة هو أفضل عمل لدراسة هذا الموضوع. عدة مؤلفين أندلسيين قدموا أحسن التعليقات، أين كان أبرزهم تعليق للكراشي (من بجاية)».

هذه العمليات الجبرية تتصف بتحليلها التام لكل الاقتراحات الهندسية في الجبر. حيث أنه تمتد العمليات الجبرية إلى حد وصول النتيجة إلى الصفر، ظهرت عينات جديدة للمسائل الكلاسيكية، ثم في الأخير، عملية جبرية في الهندسة يتم تحليلها عن طريق المعادلات.

في هذا العصر، كان المغرب جد نشيط، بدون الحدود، حرية التبادلات العلمية سمحت في وضع قائمة خاصة لأسماء العلماء، منافسات علمية، نقد وتعليقات تبين بدون شك كيفية معالجة الرموز الحقيقية (في أفريقيا الجنوبية)، نذكر أن الأعمال الرياضية للمغرب كانت ذات طابع مهم لتطوير الرياضيات في الغرب المسيحي (الرياضي الإيطالي المشهور ليوناردوفيبوناتشي، والفيلسوف الكتالوني ريموند لول).

الخاتمة

لقد شغل ابن خلدون مناصب هامة في بجاية، فاقتحامه الوسط العلمي (كالخزينة السلطانية الرائعة وإلى مسجد القصبة) واستفادته من المصادر العلمية (النبذة المحتجة لابن حماد) واتصالاته بعالم العلماء (كالفقيه الأكبر أحمد بن إدريس) كان مصدرا هاما لمساهمته في كتابة تاريخ المغرب.

عند رجوعنا إلى الوراء، استطعنا معرفة أن فترة إقامة ابن خلدون في بجاية كان لها تأثير كبير في تكوين فكره التاريخي والاجتماعي. كتاباته حول مدينة بجاية مكنت من إزالة عدة غموظات ومفاهيم جديدة خاصة . لهذا في مقال نشر من طرف مجلة الثورة الإفريقية سنة 1963، الأنتربولوجي (علم مختص بعلم الإنسان) المرموق، مولود معمري استطاع كتابة «إذا عاد ابن خلدون بيننا، سيكون مرتاحا في عالم تسوده الأخوة، الذي أحست به عبقريته».

قائمة المصادر والمراجع:

1. Aballagh M., *Rqfal-Hijab d'Ibn al-Banna'*, Thèse de Doctorat, Université de Paris I, Pantheon-Sorbonne, 1988.
2. Aballagh M. et Djebbar A., *Découverte d'un écrit mathématique d'al-Hassar (XIIe siècle)*, le livre I du Kamil, Historia Mathematica 14 (1987), 147-158.
3. Aïssani D., and all, Bougie médiévale : *Centre de transmission méditerranéen, In the book «History and Epistemology in Mathematics Education»*, IREM Edition, Monpellier, 1993, pp. 499-605.
4. Aïssani D., *The Mathematics in the medieval Bougie and Fibonacci.* In the book *«Leonardo Fibonocci : Il Tempo, le opere, l'eredità cientifica»*, Pacini Editore (IBM Italia), Pisa ,15194, pp. 67-82.
5. Aïssani D., *Le mathématicien Eugène Dewulf (1830 -1896) et les manuscrits médiévaux du Maghreb.* International Journal Historia Mathematica, Academic Press Ed. (U.S.A), n° 23, 1996, pp. 257-286.
6. Aïssani D., *Centri del Sapere Magrebino ed i apporti con l'Occidente Cristiano. Actes V Seminario Internazionale «Natura, Scienza e Società nel Mediterraneo»*, Unesco Ed., Cosenza (Italie), Mars 1999.
7. Aïssani D., La Qal'a des Béni Hammad à l'Epoque Médiévale: Les Mathématiques au Sein du Mouvement Intellectuel, Proceedings du Séminaire *RAMA II* (Rencontre d'Analyse Mathématique et Applications -dans le cadre du *WMY 2000, Année Mondiale des Mathématiques*), M'sila, 2000.
8. Aïssani D. et Valerian D., *Mathématiques, Commerce et Société à Béjaïa (Bugia) au moment du séjour de Leonardo Fibonacci.* In the Book *«Leonardo Fibonacci. Mathematica e Società nel Secolo XIII».* Enrico Giusti and Marco Tangheroni Eds.), Pisa, 2002 (To appear in the International Journal *Bulletino Matematische*).
9. Aïssani D. e Valerian D., *1 Rapporti tra Pisa e Béjaia (Bugia) in Epoca Medievale : contributo alla costruzione della "Mediterraneita"*, In the Book *«Pisa e il Mediterraneo»*, a cura di Tangheroni M., Skira Ed., ISBN: 88-8491-520-,1 Pisa, 2003, pp. 235-244.
10. Brunschvig R, *La Berbérie orientale es Hafsides*, Andrien - Maisonneuve Ed., Paris, 1940.
11. Djebbar A., *L'analyse combinatoire auMaghreb : l'exemple d'Ibn Mun'im*, Publication Mathématique d'Orsay, n° 85-01 Université de Paris-Sud, 1985.

أن فترة إقامة ابن خلدون في بجاية كان لها تأثير كبير في تكوين فكره التاريخي والاجتماعي

12. Hébert E., Aïssani D. and aIl., *Quelques aspects des mathématiques d'Ibn al-Banna (1321 -1356) de Marrakech*, IREM Ed., Rouen,1995, 133 pages.
13. الغبريني، عنوان الدراية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ص. 263.
14. حاجي خليفة، كشف الزمن.
15. ابن خلدون، كتاب العبر، بيروت، مؤسسة عمل للنشر (بالإضافة إلي كتاب المقدمة) (النص)، حشات باريس، 1965.
16. ابن خلدون، التعريف، بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المسري، 1979.
17. Renaud H . P.-J., *Notes critiques d'histoire des sciences chez les musulmans : Ibn al-Banna' de Marrakech, Sufi et Mathématicien (XIIIe -XIVe siècles)*, Hesperis, XXV, 1938, pp. 13-42.
18. Steinschneider M., *Rectification de quelques erreurs*, Bulletino di Biogr. E di Storia d. Scienze Matem. E Fisiche (Boncompagni), X (1877), 313.
19. Suter H., *Die Mathematiker und Astronimen der Araber und Ihre Werke*, Leipzig, Drunck und Verlag B. G. Teubner, 1900.
20. Urvoy D., *La structuration du monde des Ulémas à Bougie au VII / XIIIe siècle*, Studia Islamica, XI, n° 3, pp. 87-107.
21. Dominique Valerian, *Frontières et territoire dans le Maghreb de la fin du Moyen Age : les marches occidentales du sultanat hafside*, Correspondances n° 73, Tunis, Novembre 2002 - Février 2003, pp. 3-8.
22. الوغليسي، المقدمة، في الفقه (الوغليسية)، مخطط رقم 590، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر (تحت رقم: 25).
23. الورتيلاني حسين ب. محمد، نزهة الأنصار في فضح علم التاريخ والأخبار، بن شناب، الجزائر، 1908.
24. Woepcke F., *Recherche 'Histoire des Sciences Mathématiques chez les orientaux, d'après des traités inédits Arabes et Persans (Notice des notations algébriques employées par les Arabes)*, Journal Asiatique, 1854, pp. 348-384.

تنظيم:

اسبانيا

MINISTERIO DE ASUNTOS EXTERIORES Y DE COOPERACIÓN
AECI
DIRECCIÓN GENERAL DE RELACIONES CULTURALES Y CIENTÍFICAS

الجزائر

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الثقافة

القائمون على المعرض:

JUNTA DE ANDALUCIA
CONSEJERÍA DE CULTURA

Fundación
El legado andalusí

المركز الوطني للبحوث في عصورما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ

aarc
agence algérienne rayonnement culturel

المؤسسات المعيرة:

قصر الثقافة
PALAIS DE LA CULTURE
مفدي زكريا
MOUFDI ZAKARIA

المتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر

متحف تلمسان
متحف بجاية
ديوان قصر الثقافة مفدي زكريا
مكتب تسيير الممتلكات الثقافية
الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة

في إطار التظاهرة الكبرى:
الجزائر، عاصمة الثقافة العربية 2007

عاصمة الثقافة العربية

ISBN 978-84-96395-35-0

Fundación El Legado Andalusí. Edificio Corral del Carbón. C/ Mariana Pineda, s/n. 18009 Granada
Tel.: +34 958 225 995. Fax: +34 958 228 644. E-mail: info@legadoandalusi.es - www.legadoandalusi.es
www.ibnkhaldoun.es